

عملية التميز في سياق المجتمع الأردني ورواية تكوين الشخصية العربية: استراتيجيات استغلال الأطر الثقافية للحرية من قبل الجماعات المتطرفة والتدخلات ضد تلك الاستراتيجيات

جاك كارو

١٤٧٥ كلمة

٢٠١٢\١٨

اللغة العربية الفصحى المستوى الثالث

هذه الكتابة سوف تبحث عن: أولاً عملية التميّز في سياق المجتمع الأردني ورواية تكوين الشخصية العربية؛ وثانياً، استراتيجيات التجنيد التي تستخدمها المجموعات المتطرفة العنيفة في هذا الواقع؛ وثالثاً، طرق مكافحة هذه الاستراتيجيات. سوف تبدأ الكتابة بفحص رواية تكوين الشخصية، وهي مصطلح أطلقه النقاد الألمان على أية رواية تصور وصفاً دقيقاً لأطوار التي تمر بها إحدى شخصياتها منذ الطفولة حتى نضوجها، في السياق الأردني والوقاية اليومية التي يواجهها الشباب الأردني (رواية). سيصف مصطلح "الشباب الأردني" ككل المواطنين في المرحلة العمرية ١٥ إلى ٢٤ عاماً. بالنسبة للقاموس يعني التميّز تنمية الفرد من العالمية (Individuation). المقصود بالتميّز هو الزواج والانتقال من منزل العائلة والاستقلال المالي للشباب، ولكن بكل تأكيد كل ثقافة لديها عمليات فريدة بالتميّز خاصة بها. رواية تكوين الشخصية هي نوع من الأدب الذي يتعامل مع التميّز، ويهدف هذا التقرير إلى بحث الاختلافات والعلاقات بين التميّز في الأدب والحياة الحقيقية بشكل مقارن.

أولاً، من الضروري أن نتحدث عن حياة الشباب في الأردن. إذ يشكل هؤلاء الأفراد خمسة و ثلاثين % من سكان البلاد، فالأردن الدولة التي تحتل المرتبة الثامنة في أكبر نسبة من الشباب في العالم (Ismayilova 133). يواجه هؤلاء الشباب نسبة البطالة حالياً بحوالي خمسة وعشرين % وهي الأعلى بين كل دول العالم (براون 1). من هذه المعلومات البسيطة من السهل أن نرى استحالة عملية التميّز بطريقة الاستقلال المالي، أو صعوبتها. لذلك، بالنسبة للشباب خاصة، فإن "عدم القدرة على توفير أسباب المعيشة يمنعهم من إتمام أدوارهم الاجتماعية كالبالغين" (براون 1). فالبطالة مثلاً بجانب تكلفة المعيشة المرتفعة، وبالذات الإسكان، تؤخران قدرة الشاب على الزواج وتكوين أسرة، فلم يتزوج سوى نسبة ٤٣ % فقط من الذكور ممن تتراوح أعمارهم بين ٢٥ إلى ٢٩ عاماً سنة ٢٠٠٤ (براون 21). وبهذا الطريق فإن انحسار فرص التوظيف يؤدي إلى الإقصاء الاجتماعي. بالإضافة إلى تلك الحقيقة، بسبب هذه البطالة، يواجه الشباب الأردني أزمة وقت الفراغ والملل. في حال غياب هذه الطرق للتميّز، يبحثون عن فرص التميّز الأخرى، ومن بينها الخيارات التي يمكن أن تؤدي إلى التطرف.

الآن، تريد أن نعرف جواب السؤال: ما هي أطر الأسرة الأردنية وما هي طرق التميّز الموجودة في هذه الأطر؟ تركز الثقافة الأردنية على الأسرة بشكل خاص، ولكن لا يعني هذا التركيز علاقات مفتوحة. على النقيض، فنصف الشباب فقط يستطيعون أن يشاركون مشاكلهم مع والديهم، وفي الوقت نفسه، مدى فهم

والديهم لاحتياجاتهم محدود جدا (Ismayilova 138). في الأردن، أدوار الأسرة راسخة كدور الآباء في توفير الرعاية ودور الأطفال في احترام والديهم واتباع القواعد والتوقعات. ميّز الخبراء بين الفئتين الاستبدادية والموثوقة من أجل التفريق بين العائلات. يتميز الهيكل الاستبدادي بطريقة قاسية للتحكم، والتي لا تعزز الحكم الذاتي النفسي ولكن من ناحية أخرى، الهيكل الاستبدادي في السياق العربي ليس متعلق بمشاعر الأطفال اتجاه الظلم (Dwairy 263). تظهر بعض الدراسات الأخرى أن الهيكل الاستبدادي يؤدي إلى احترام الذات المتدني وأعراض الاكتئاب وصعوبات في اتخاذ قرارات مستقلة (Ismayilova 138). بسبب قواعد الحياة الأسرية هذه والاختلافات بين الاستبدادي والموثوق من الصعب أن تقول إن أحداً أحسن من الآخر. لذلك، تركز على المناظرة المركزية، بين الحياة بالحرية وبين الحياة دون الحرية. قال أستاذ طب المجتمع والصحة العامة الدكتور سيد درويش ، أن "استقلال الأبناء عن أهاليهم له فوائد كثيرة ، أهمها خوض تجارب الحياة بشكل أسرع ، وكذلك مهارات إدارة شؤون الحياة ، والاعتماد على النفس بشكل كامل" (الشماع). في المقابل أكدت الاختصاصية النفسية داليا الشيمي على أن "رغبة الاستقلال ليست سوى شراهة للبحث عن 'الحرية'، أو الرغبة في الحصول على المزيد منها، بل والمزيد من كل شيء" (الشماع). تمثل هاتان الفكرتان السؤال والتحدي في المجتمع الأردني كصراع بين الطرفين: الأسرة من جهة والشباب من جهة أخرى حول حريتهم واستقلالهم بالمفهوم نفسه (السيد). من الواضح الكثير من طرق التميّز مثلا الزواج حين يكون عمر الشباب كبير، فمن الممكن أن تكن طرق أخرى، في سياق الاجتماعي الأردني.

حاليا، من اللازم أن تبحث في رواية تكوين الشخصية وعلاقتها بخبرة الشباب الأردني من أجل مراقبة ما إذا كانت هناك مسارات أخرى إلى التميّز. في السياق الغربي، رواية تكوين الشخصية هي كتاب حيث "يعتمد العمل على ثروات البطل الشاب الطموح عندما يكافح من أجل تحقيق أهدافه الشعرية ضد الواقع" (al- Mousa 223). مثال رواية تكوين الشخصية "الحي اللاتيني" من الكاتب سهيل إدريس، ونشر في سنة ١٩٥٨. يروي الكتاب قصة بطل مجهول يوقع في مركز العلاقات بكل شخصيات الرواية التي تستمع لمناقشات البطل عن تحدياته (al- Mousa 232). يتميز بحث البطل بالفيلم الأول الذي يشاهده في باريس، اسمه "الحياة تبدأ غدا" (al- Mousa 232). من هذا المثال، في السياق العربي، سافر البطل إلى الغرب، حيث يواجه التحديات ولديه شؤون الحب (al- Mousa 224). تساعده هذه التجارب في فهم الثقافة الأجنبية والثقافة الخاصة كلتيهما (al- Mousa 224).

فالسؤال الآن هو "هل الشباب الأردني من الممكن أن يجربوا هذه التحديات، ويتميز كبطل رواية تكوين الشخصية، وإذا كان ليس من الممكن، أي طرق أخرى تستخدم؟ بالنسبة لبعض الباحثين، فكرة مرحلة البلوغ الناجحة هي امبريالية استعمارية وبطيريركية (Hay 322). أيضا، في آراء هؤلاء الباحثين وفي السياق الأردني، من الضروري أن نتجاهل النوع الغربي، بحيث يمكن للكتاب وصف ما "يعني من العمر" يعني. مع هذا الفحص الموجز لنوع رواية تكوين الشخصية، مازال من الصعب أن ترى عمليات التمييز معينة في المجتمع الأردني.

الآن، سوف نناقش التجنيد في الجماعات المتطرفة، والانضمام إلى هذه المجموعات كطريق إلى التمييز. تسبب مجموعة من العوامل كالتهميش والتطرف السياسي، وانعدام العدالة الاجتماعية، وظروف اقتصادية ضعيفة وانعدام مشاركة الشباب في مناقشة مستقبل القضايا الوطنية وإحباط الشباب المتعلق بمستقبلهم التطرف العنيف (المركز). من أهم هذه العوامل ما يتعلق بتطرف الشباب، هي البطالة. كما ذكرت من قبل، نسبة البطالة الأردنية عالية جدا، ولذلك، الشباب عندهم كثير من وقت الفراغ. حيث يلعب عدد كبير من هؤلاء الشباب الألعاب الإلكترونية ويدخلون غرف الدردشة إلى جانب هذه الألعاب. إذ أن التجنيد موجود في هذه الغرف، ولكن ليس في كل الغرف، فالحقيقة هي أن مكان الكلام هذه تمثل فرصة جيدة لنشر الأفكار والأيدولوجية المتطرفة. ولعل الأمر الأكثر غمرا هو حقيقة أن وصول الشباب إلى غرف الدردشة هذه مرتبط ماديا بالبيت، والأسرة، حيث يلزمهم أن يكونوا بالقرب من جهاز توجيه استخدام الإنترنت. على الرغم من العزلة الواضحة والحماية داخل الجدران الأربعة وسقف المنزل، إلا أنها في الواقع معرضة للتجنيد الرقمي. يمكن أن تكون غرف الدردشة منتدى جيد للتجنيد لأن المتطرفين يمكن أن يشكلوا أصدقاء لهم ويطورون علاقاتهم مع الشباب بينما يقومون ببطء بتغذية الأفكار المتطرفة في محادثة بعد تطوير العلاقة (مركز الحياة). بعد أن يتم تجنيد أحد الشباب، تكون الألعاب الإلكترونية في كثير من الأحيان محاكاة لمعركة واقعية، وبالتالي تستخدم كتدريب من قبل الجماعات المتطرفة، وكل ذلك دون الحاجة إلى مغادرة الشخص بيته. إذا، فإن المسار إلى التجنيد لا يتضمن أي رحلة مادية، بل رحلة رقمية وعلاقة مع شخص آخر، بالإضافة إلى الجمع بين وقت الفراغ وإهمال الآباء. وبهذه الطريقة، كما قد تعمل مراقبة الشباب التي تميز المجتمع الأردني وثقافة العيب حتى على زيادة إمكانات التجنيد.

يتناقض هذا الواقع الاجتماعي مع رواية تكوين الشخصية العربية. في الأدب، حيث يمر الشاب برحلة التعليم عن ثقافة أخرى، ويتعلم عن شخصيته نفسها، ولكن، في المجتمع الأردني، هذه الحرية ليست موجودة. ربما إذا كانت موجودة هذه الحرية الاستكشافية، فالشباب من الممكن أن يخلقوا الهوية الخاصة بهم.

السؤال الآخر الذي سوف تجيب عنه هذه الكتابة هو "ما هي بعض التدخلات ضد التطرف في سياق تميّز الشباب الأردني". أولاً، تبعاً لوزارة الثقافة فإن الفن تدخل فعال، من خلال برنامجها تلاقى، حيث توفر هذه البرامج أنشطة المسرح والرسم والموسيقى للأطفال الأردنيين، والسوريين، والفلسطينيين، والأطفال من العشائر والبدو، والأطفال من المدينة والريف، وتهدف هذه البرامج إلى الاندماج الكامل والتسامح المتكامل (مبادرة). الفكرة الأساسية هي حينما يجتمع أشخاص من خلفيات مختلفة، من الممكن أن يتعلمون من التفاعلات بين الهويات المتنوعة دروس التي تعزز التسامح والتفاهم في المجتمع الكبير (مبادرة). تقع هذه الأهداف تحت مظلة أهداف المركز العسكري لمكافحة الإرهاب والتطرف وأدواته، مثلاً الهدف الأول، "تأسيس اتصال استراتيجي مع الجمهور الأردني؛ لتحسينه ضد التطرف، من خلال نشر ثقافة دينية إسلامية صحيحة أصيلة منطلقة من...تأصيل قيم التسامح والتعددية وثقافة احترام حقوق الإنسان وقبول الآخر وترسيخها بالتعاون مع الجهات الرسمية وغير الرسمية محلياً ودولياً" (مركز ورقة). يمثل ذكر أهمية التسامح، المكتوب في أهداف كلا المركز العسكري ووزارة الثقافة، مركزية في الصراع ضد التطرف العنيف. وحالياً من المهم أن تدقق الكتابة باستراتيجيات تعزيز التسامح وبنائه في المجتمع الأردني من خلال دراسة رواية تكوين الشخصية.

أخيراً، وصلت إلى سؤال التقرير مركزي وهو "كيف ممكن يعزز وينشر التسامح في المجتمع الأردني". إذا اعتبرت هذه الكتابة بجهود الوزارة الثقافة لبناء التسامح، فبإمكانها أن ترى كيف تتوازي هذه الجهود مع أفكار التميّز الشبابي كما اقترحت من قبل رواية التمكين الشخصية العربية. تمثل برامج المسرحية الوزارة، مثلاً، التفاعلات الميسرة بين أشخاص من الثقافات المختلفة، وفي الرواية، يجرب الشخص ثقافة مختلفة لهدف التعليم كيف يعيش في ثقافتين. حتماً، هناك طرق أخرى للتعليم عن ثقافات وطرق الحياة مختلفة، على غرار كتب وأفلام والانترنت، ولكن، عادة، أحسن طريق هو الكلام ووجهها لوجه التفاعل. بالإضافة إلى ذلك، إذا كان يتم منح الشباب مستوى أعلى من الحرية، ويلعبون الألعاب الإلكترونية على الصعيد المنخفض،

يستطيعون أن يدركوا من البيت أسوة بالشخص من الرواية التكوينية الشخصية. خارج من المنزل، ومن نظرة الوالدين، الشاب من الممكن أن يجرب فسيفساء الأفكار الملونة ويجنب الجهل. بينما ليس من اللازم أن تربط هذه الأفكار بالجهود لمكافحة التطرف العنيف، ففي السياق العربي، وفي السياق الأردني بالذات، من الممكن أن تأخذ هذه الجهود توجيهه من الطرق الموجودة في الرواية التكوينية الشخصية.

المصادر

Dwairy, Marwan, et al. "Parenting Styles, Individuation, and Mental Health of Arab Adolescents: A Third Cross-Regional Research Study."

Journal of Cross-Cultural Psychology, vol. 37, no. 3, May 2006, pp. 262-72.

Hay, Simon. "Nervous Conditions, Lukács, and the Postcolonial Bildungsroman." *Genre*, vol. 46, no. 3, Fall 2013, pp. 317-44.

"Individuation." Def.1. Merriamwebster.com. Merriam Webster, n.d. Web. 1 Dec. 2018.

Ismayilova, Leyla, et al. "Depressive Symptoms Among Jordanian Youth: Results of a National Survey." *Community Mental Health*, vol. 49, 21 July 2012, pp. 133-40.

al- Mousa, Nedal M, et al. "Arabic Bildungsroman: a Generic Appraisal." *International Journal of Middle East Studies*, vol. 25, no. 2, May 1993, pp. 223-40.

براون، ريان آ، كونسنانت، لوي، جليك، بيتر، وجرانت، أودراك. الشباب في الأردن: الانتقال من التعليم إلى التوظيف. عمان: مؤسسة RAND. ٢٠١٤.

الشماع، محمد. "استقلال الشباب عن الأسرة.. ليس كله مساوئ." *حياة*، 8. 4. 2018.

<http://www.hayatweb.com/article/121566>

السعدي، غدير. "الشباب عماد الاستقلال وغايته." *الرأي*، 25. 5. 2017.

السيد، سيرين. "استقلالية الشباب.. بين الحرية والفوضى." *الرأي*، 3. 6. 2012.

<http://alrai.com/article/517680.html>

مركز الحياة. "عمل المنظمات غير الحكومية في مكافحة التطرف." *مركز الحياة، عمان*. 12. 11. 2018. محاضرة.

شبكة أنشطة الشباب العرب نايا للتدريب والتنمية المجتمعية. نايا، 2017.

مبادرة تلاقى. وزارة الثقافة، 2018.

المركز العسكري لمكافحة الإرهاب والتطرف. كلية الدفاع الوطني الملكية الأردنية، 2017.

"رواية تكوين الشخصية." معجم المصطلحات اللغوية والأدبية، طبعة جديدة، المكتبة الاكاديمية،
1994، ص. 28.